

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/04/23

تاریخ الاستلام: 2025/02/19



الفنون الشعبية بمنطقة الصحراء الجزائري ودورها في السياحة الجزائرية

~~کمال بن سنوسی~~

Kamel.bensenouci@univ-djelfa.dz

جامعة زبان عاشور- الجلفة / الجزائر

Folk arts in the Algerian Sahara region and their role in Algerian tourism

~~✍~~ **kamel bensenouci**

Kamel.bensenouci@univ-djelfa.dz

University Zian Ashour - Djelfa Algeria

ملخص البحث

تعد الفنون الشعبية بمنطقة الصحراء الجزائري من بين الموارد الثقافية التي ساهمت في الحفاظ على الهوية الثقافية، حيث لعبت دورا هاما في تنمية السياحة الجزائرية. إذ تعتبر منطقة الصحراء الجزائري، وخاصة منطقة التاسيلي التي تشمل كل من ولاية (تمنراست وإليزي)، من بين المناطق الأكثر في جلب السواح الأجانب. فقد لعبت دورا كبيرا في تعزيز السياحة الجزائرية، وإنعاش الاقتصاد الوطني. الكلمات المفتاحية: الفنون الشعبية، أنواعها، السياحة، مناطق صحراوية، الجزائر.

ABSTRACT:

Folk arts in the Algerian Sahara region are among the cultural resources that contributed to the preservation On the cultural identity, where played an important role in the development of Algerian tourism.

The Algerian Sahara region, especially the region of Tassili, which includes both the province of Tamanrasset and Illizi, is among the regions most attracting foreign tourists. It played a major role in promoting Algerian tourism and reviving the national economy.

Keywords: folklore, their types, tourism, desert areas, Algeria.

1. مقدمة:

تعتبر الفنون الشعبية كإراث ثقافي، تتدواله مختلف شعوب العالم. فلكل دولة لها ثقافتها الشعبية الخاصة بها، إذ تزخر الجزائر بمناطق سياحية جميلة من صحراءنا الكبرى، وخاصة منطقة التاسيلي التي أصبحت تجلب لنا عدد هائل من السواح الأجانب.

يعد بحثنا من بين البحوث التي تستحق الدراسة، لدى يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1- ما مدى مساهمة الفنون الشعبية بمنطقة الصحراء الكبرى أي منطقة التاسيلي في تنمية السياحة الجزائرية؟

2- ما هي الآليات المعاصرة التي جعلت بلدنا الجزائر مركزا أو مقرا للسائح الأجنبي؟

تنبع الأهمية العلمية لهذه الدراسة في الوصول إلى الدور الذي تلعبه الفنون الشعبية بالجزائر؛ وخاصة في منطقة الصحراء الكبرى، بما تزخر به من جبال وصخور تعود لعصور غابرة. حيث ترك سكان المنطقة ومن بينهم التوارق عادات وتقاليد، وفنون شعبية من رقصات وموسيقى ورسومات، ما زالت تؤدي حتى اليوم أثناء مناسبات دينية أو وطنية.

2. مفهوم الفنون الشعبية وأشكاله بالجزائر.

1.2 مفهوم الفنون الشعبية:

نقصد بها تلك " الفنون التقليدية الحية الجارية في الاستعمال، أي أنها جميع أنواع وأشكال الفنون والصناعات والحرف، والأعمال التطبيقية والمهنية التي تمارس بيننا، والفنون المكانية، والفنون الزمنية التي لا ترتبط بزمن معين محدد، كما تشمل الفنون التقليدية مختلف حاجات الإنسان اليومية من أدوات يبتكرها ويبدعها لتلبية ضروراته المادية والروحية الطقسية" (محمد عيلان، جوان 2000، ص197).

كما نجد في هذا المجال تعريف الأديب الجزائري محمد البشير الإبراهيمي يقول: " أنه في القرن 19م ظهر اصطلاح الفنون الشعبية (فولكلور Folk) وتعني شعب و Lore معناه علم، فقد استعمله لأول مرة العالم البريطاني ويليام تومس في مجلة بريطانية سنة 1846م " (وهيبة نايلي، 2012-2013، ص17).

وفي الأخير من خلال التعريفين السابقين: تمثل الفنون الشعبية جزءا لا يتجزأ عن تاريخ الشعوب وحضارتها، وتراثها الثقافي، كما تبين لنا نظمها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية لدى المجتمع (وهيبة نايلي، 2012-2013، ص 199). لهذا الفن الشعبي بصفة عامة يمثل كل ما ينتجه مجتمع معين بشكل جماعي أي بمعنى أنها تشمل جميع المنتوجات الثقافية الموروثة، والممارسات التي تشمل الثقافة الشعبية، كما يعرفها دوسرتو على أنها: "ثقافة استهلاك أي الإنتاج الثقافي الذي ينتشر إلى كل مكان، عن طريق مجتمع معين" (دنييس كوش، 2007، ص 125).

3. أنواع الفنون الشعبية بالجزائر:

1.3 صناعة الفخار(الأواني): تعتبر أهم الصناعات التقليدية المتوارثة جيلا عن جيل، فهي رمز للأصالة، والوحدة التي تعبر عن تقاليد وعادات المجتمع الجزائري الصحراوي. بما يتفنن به من صناعة لكسب قوته، وخاصة ما تقوم به النساء العجوزات في صناعة الأثاث المنزلية (كالقصعة، الأكواب) التي توجد في مختلف البيوت الجزائرية(وهيبة نايلي، 2012-2013، ص 73- ص 74).

2.3 اللباس الشعبي: جاء في تعريف ابن خلدون "الملبس مظهر حضاري"(وهيبة نايلي، 2012-2013، ص 75)، بمعنى أن اللباس تظهر فيه ثقافة المجتمع. فالمرأة الجزائرية الصحراوية مازالت محافظة على تقاليدها من خلال اللباس المميز بها مثل: البرنوس، العمامة، العباءة، التي تعبر بها تعبيراً عن الانتماء العريق لأصالتها(وهيبة نايلي، 2012-2013، ص 76). أي أن اللباس التقليدي يعتبر مظهراً ثقافياً عرقياً، لدى المجتمع الصحراوي الجزائري الذي يميزه عن غيره من المسلمين العرب على حسب كل منطقة.

3.3 أدوات الزينة: للمرأة الجزائرية الصحراوية لها خصوصية بجمالها وزينتها، ومن أبرز مظاهر الزينة

نجد (أحسن رواس، 2007-2008، ص 50- ص 51):

- الحناء: نبتة توجد بالمناطق الصحراوية، تستعمل للتجميل وكذلك للدواء، تطحن وتوضع عجينة على المكان المراد صبغه في الجسم.
- الكحل: يستعمل في صبغ الأشعار الحواجب، لا يفارق المرأة خاصة في المناسبات. فالكحل يعتبر دواء لرمد العيون المنتشر كثيراً بالصحراء.
- الحلي: الذي يستعمل كثيراً عند المرأة الجزائرية عموماً، وخاصة المرأة الصحراوية، حيث يستعمل كثيراً للزينة في الأذنين، أصابع اليدين... وغيرها.

4.3 الموسيقى الشعبية: هي تلك الألحان التي توجد عند جماعات من الناس، تتميز بثقافة شفوية، وقد نجد ذلك كثيراً عند أهل البدو في الصحراء الجزائري، يستعملون آلات بسيطة مثل: الزرنة، البندير، الأمزاد، أثناء احتفالات الزواج أو غيرها(وهيبة نايلي، 2012-2013، ص 78).

5.3 الرقص: هي لغة الحركة والجسد، ويعتبر من بين أهم الفنون الشعبية، لا غنى عنها كما يعتبرها علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع في فهم خصوصية شعب من الشعوب، الذي يعتبر موروث ثقافي شعبي (أحسن رواس، 2007-2008، ص124). فالمجتمع الصحراوي الجزائري يزخر بهذا التراث الثقافي الذي توارثه عن آبائهم .

وقد وصف الرحالة أوجين فرومانتين الرقص الجزائري، يقول: "إن الرقصة العربية على العكس، رقصة الجنوب، تعبر برشاقة حقيقية أكثر وبغفاف ... ومع تسارع الإيقاع الموسيقي، تصبح الراقصة أكثر انفعالا" (أحسن رواس، 2007-2008، ص124) ، وقد نجد في هذا المجال رقصات الطوارق بالصحراء الجزائرية.

4. الفنون الشعبية بالصحراء الجزائري وعلاقتها بالسياحة:

تمثل الجزائر من بين أكبر بلدان إفريقيا، ونظرا لشساعة المنطقة تحتوي على تراث ثقافي هائل (مادي وغير مادي)، لهذا سنحاول أن نتكلم على الدور الذي تلعبه الفنون الشعبية بالصحراء الجزائري في تنمية السياحة.

تعتبر الفنون الشعبية والسياحة عنصرا مترابطان، لكل منهما دوره في الحفاظ على الهوية الثقافية التي: "تعد من بين المفاهيم الحديثة التي ظهرت في العلوم الاجتماعية والانثروبولوجيا وقد ظهرت ضد العولمة، حيث يركز على مفهوم الهوية التي تتجلى معرفة الإنسان لذاته داخل الجماعة التي ينتمي إليها، من خلال التراث الثقافي والاجتماعي" (أحمد عبد الموجود الشناوي، 2008، ص56- ص75).

إن أكبر ما تزخر به الجزائر، في مجال السياحة هي صحرائها، إذ تعد من أئمن محميات التنوع البيئي (محمودي مليك، زروخي صباح، 2016، ص118)، فكل هذا راجع لما تحويه من مقومات سياحية متنوعة. لدى سنقوم بذكر أهم المقومات الثقافية التي تتميز بها كل من ولاية تمنراست (منطقة الأهقار)، وولاية إليزي (منطقة جانت):

1.4 منطقة الأهقار:

يتميز مجتمع إقليم الأهقار الصحراوي بتمنراست، بالعديد من الفنون الشعبية، والتي تعتبر من بين المقومات الثقافية في الحفاظ على أصالة هذا التراث، وتنمية السياحة الصحراوية بالجزائر، وتتمثل فيما يلي:

1.1.4 موسيقى الإمزاد: التي تؤدي بآلة الإمزاد ذات الوتر الواحد، وتعزف عليها النساء فقط (مصطفى مخطاري ، أحمد ستي، 2015، ص314).



صورة العزف على آلة الإمزاد.

2.1.4 التندي: يعتبر من أهم الطبوع الموسيقية التارقية، بحيث تقوم النساء أثناء مناسبات الأفراح والأعياد، بتشكيل حلقة دائرية في الهواء الطلق، أما الرجال يقومون بتزيين الجمال، بعهدا يرافقون النساء من خلال الرقص على الألحان التي تعزف من طرف النساء، وقد جعلهم في بعض الأحيان يفقدون السيطرة مما يؤدي بهم في حالة إغماء (عبد الكريم قادري، 2015، ص124). فهذه الموسيقى تتم عن طريق القرع على آلة تدعى التندي التي يضرب عليها بالأيدي، وهي عبارة عن شكل مثلث مدور ومقعر مغطاة بجلد الناقة (إبراهيم بهلول، 2011، ص40).

3.1.4 الرقص: نجد من الرقصات المشهورة، رقصة التاكوبا، رقصة البارود (مختاري مصطفى، ستي أمحمد، 2015، ص314).



صورة رقصة التاكوبا بمنطقة الهقار – تمنراست.

4.1.4 الصناعات التقليدية: تشتهر منطقة الأهقار بولاية تمنراست بعدة صناعات فنية شعبية، وتتمثل فيما يلي (محمودي مليك، زروخي صباح، 2016، ص 124):

- صناعة الحلي التقليدي مثل: الخلاخل، الأساور.
- صناعة الجلود مثل: القربة، والخيمة.
- صناعة الفخار مثل: أواني الطبخ القدر والقلعة.
- صناعة الخشب مثل: صناديق الزينة.
- صناعة الألبسة التقليدية: تتميز بجودة عالية، وتحظى بإقبال كبير من طرف السواح الأجانب رجالا ونساء.

2.4 منطقة طاسيلي ناجر (جانت).

توجد بولاية إليزي، تعد من بين المنطق الأكثر أهمية في جلب السياح الأجانب، حيث تحتوي رسوم صخرية فنية لما قبل التاريخ، إذ نجد حوالي أكثر من 1500 لوحة. فهي تعبر لنا تقلبات المناخ، هجرة الحيوانات، وكذلك تطور الحياة البشرية خلال 6000 سنة قبل الميلاد في أعماق الصحراء الجزائرية (لمين تغليسية، اسماعيل بوغازي، 2007، ص 67).

كما تشتهر هذه المنطقة على تراث ثقافي غير مادي ويتمثل فيما يلي:

1.2.4 رقصة السببية: التي تعد احتفال سكان مدينة جانت، بولاية إليزي السنوي التقليدي، التي لا زال يحتفل بها توارق الصحراء بالجنوب الجزائري، ويصادف الاحتفال بهذا العيد يوم عاشوراء في التقويم الهجري، والتي ترمز على الصلح، تعاقدت فيها قبيلتان من التوارق (عاشور سرقمة، 2011، ص193- ص194).

كما تعبر هذه المناسبة التقليدية عند سكان (جانت) باليوم الذي ظهر فيه السلم بين سكان القصرين (أزلواز) و(المهان). حيث يقام الاحتفال عن طريق رقصات جماعية، يؤدّيها الراقصون أو المحاربون على دقات الطبول، إذ تعبر هذه الاحتفالات الشعبية جزءاً مهماً من الثقافة الشعبية للمجتمعات (عاشور سرقمة، 2011، ص194).



صورة الاحتفال بعيد سببية.

لقد صنفت منظمة اليونسكو سنة 1982م الصحراء الجزائرية، بالمنطقتين المذكورتين (الهقار- والطاسيلي ناجر) كإراث إنساني، وهذا راجع لما تحويه من كنوز طبيعية ساخرة التي نقشتها الرياح على الصخور، وكذلك الانفجارات البركانية التي حدثت من ملايين السنين، نحث من خلالها أشكال هندسية بديعة، إذ يعتبر الآن أكبر متحف طبيعي مفتوح في العالم.

5. خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول بأن الصحراء الجزائرية، تتمتع بتراث ثقافي كبير منها: ماهو مغمور، ومنها ماهو مستغل، حيث تلعب الفنون الشعبية (الموسيقى، الرقص، الصناعات التقليدية وغيرها). دورًا مهمًا في التنمية السياحية، وإنعاش الاقتصاد الوطني.

لهذا هناك بعض التوصيات المتوصل إليها، والتي لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار، وتتمثل فيما يلي:

- يجب على الدولة الجزائرية، تهيئة الظروف السياحية بما فيها (النقل، الإيواء، الأمن وغيرها).
- الحفاظ على هذا التراث الثقافي (المادي والغير المادي)، بإنشاء مراكز بحث متخصصة بجمع ودراسة هذا التراث الذي يعد كمصدر سياحي.
- إعادة إنشاء متاحف أخرى خاصة بكل منطقة من الصحراء الجزائري.
- تأسيس لجنة وزارة مستقلة تساهم في التنمية السياحية الصحراوية الجزائرية.

المراجع:

- الشناوي أحمد عبد الموجود(2008). الهوية الثقافية للمجتمع البدوي. ط1، دار مصر المحروسة، مصر.
- بهلول إبراهيم(2004). الآلات الموسيقية التقليدية في الجزائر. (دن)، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- كوش دنيس(2007). مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ترجمة (منير السعيداني)، ط1، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
- عيلان محمد(2000). الفنون الشعبية الجزائرية. مجلة التواصل، العدد (06).
- مليك محمودي ، صباح زروخي(2016). مقومات السياحة الصحراوية في الجزائر- دراسة إقليم الأهقار- تمناست. مجلة التنمية الاقتصادية، العدد (01)، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر.
- قادري عبد الكريم(2015).موسيقى الإمزاد - شمس الطوارق التي لا تغرب-. مجلة الثقافة الشعبية، ع(31)، المنظمة الدولية للفن الشعبي، مملكة البحرين.
- سرقمة عاشور(2011). تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى - الصحراء الجزائرية نموذجًا. مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع(15)، المركز الجامعي، غرداية، الجزائر.
- مخطاري مصطفى، ستي أمحمد(2015).السياحة الصحراوية في الجزائر بين الواقع ومتطلبات النهوض - ولاية تمناست أنموذجًا-. مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد5، العدد 09، الجزائر.

- نايلي وهيبة (2012- 2013). التراث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة (ريح الجنوب والجازية والدراويش)- انموذجا- مذكرة ماستر، بإشراف الأستاذة راضية عداد، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر.